

المحاضرة الخامسة: مقاومة الأمير عبد القادر

1. الوضع السياسي بعد سقوط مدينة الجزائر 5 جويلية 1830:

خلال الفترة الممتدة ما بعد 5 جويلية 1830 واصل الجيش الفرنسي حملاته العسكرية، ففي بايلك التيطري وافق بابها مصطفى بومزراق على الاحتلال الفرنسي، وقدم ولاءه للجنرال ديورمون فثبت بتاريخ 15 جويلية 1830م واليا على المقاطعة وتعهد بدفع الجزية، أما بايلك الشرق فاستحال على ديورمون السيطرة عليه لاتخاذ من قبل الحاج أحمد باي ومن عاصمته قسنطينة مركزا للمقاومة، أما في بايلك الغرب فقد أرسلت حملة بحرية بقيادة الجنرال دامريمون حيث دخلت قواته المرسى الكبير في 14 ديسمبر 1830م، ثم وهران في 4 جانفي 1831م وهذا بعد أن سلمها الباي حسن وأعلن ولاءه لفرنسا، ومن ثم في سنة 1832م تمكن الفرنسيون من السيطرة على موانئ مستغانم وأرزيو بقيادة الجنرال ديميشيل.

السيطرة الفرنسية على سواحل بايلك الغرب.



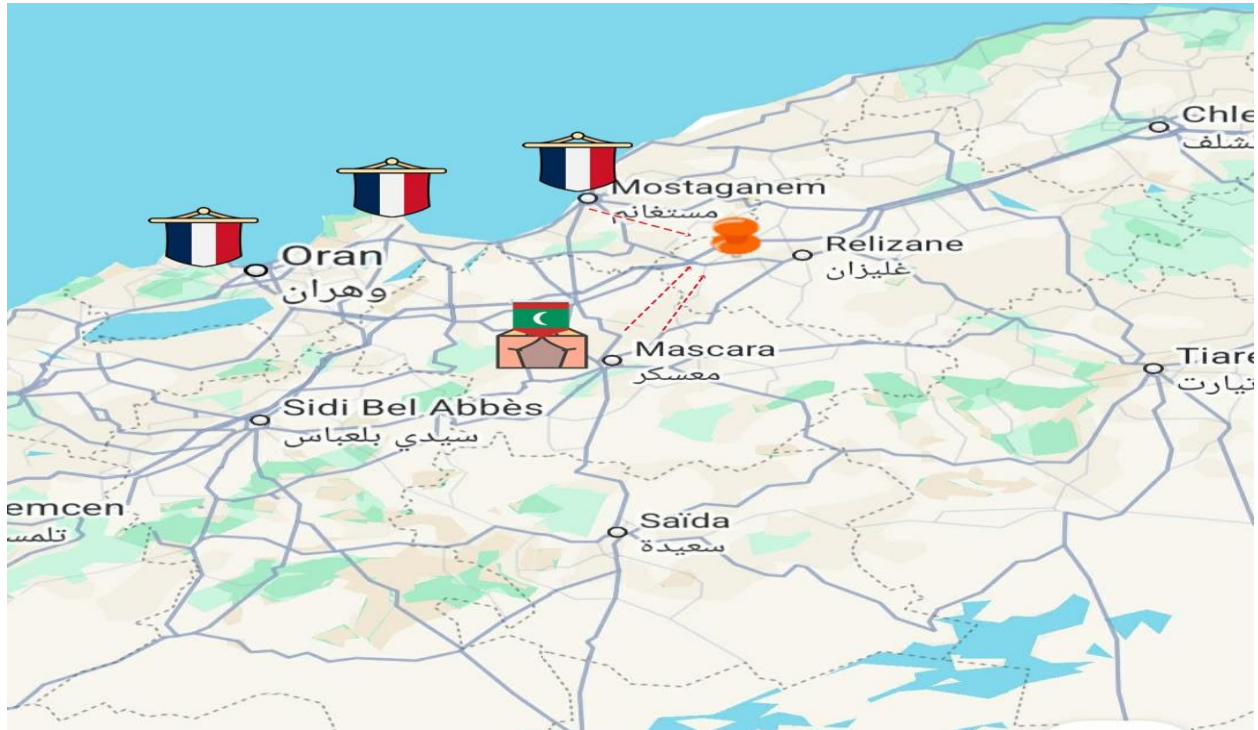
2. المقاومة الأولى تحت قيادة الشيخ محي الدين:

شعرت القبائل العربية بعد انهيار الحكم التركي وسيطرة القوات الفرنسية على الموانئ، بضرورة وجود قيادة من أجل توحيدها وقيادة مقاومة تهدف للتصدي للتوغل الفرنسي إلى الداخل، وكان الشيخ محي الدين شيخ الطريقة القادرية بمعسكر الرجل المناسب لذلك، ففي شهر أفريل 1832م وبعد اجتماع حضره زعماء قبائل سهل معسكر تقرر بموجبه إسناد القيادة للشيخ محي الدين لمحاربة القوات الفرنسية.

قاد الشيخ محي الدين خلال هذه السنة معركتين كبيرتين ضد القوات الفرنسية بالقرب من وهران وهما معركة خنق النطاح الأولى يوم 04 ماي 1832م وخنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832م، وقد أسند الشيخ محي الدين في المعركة الأخيرة الراية والقيادة لابنه عبد القادر والذي أبان عن مقدرة عسكرية هائلة.

ومن أجل توحيد راية القبائل مجددا عرضت على الشيخ محي الدين الإمارة مجددا بتاريخ 22 نوفمبر 1832م، ولكن الشيخ محي الدين هذه المرة اعتذر لكبر سنه قائلا: "أشكر ثقتكم ولكن أعتذر عن قبول هذا المنصب، فأنا الآن أقوم بواجبي الديني والوطني مقاتلا في سبيل الله كأبي أحد منكم"، وفي نفس الوقت رشح لهم ولده عبد القادر، والذي أبان عن مقدرة عسكرية هائلة في معركته الأخيرة ضد الفرنسيين.

خريطة لموقع معركتي خنق النطاح الأولى والثانية تحت قيادة الشيخ محي الدين.



3. مبايعة الأمير عبد القادر:

أ. البيعة الأولى 27 نوفمبر 1832م:

حلت البيعة لعبد القادر من العلماء والشرفاء والأعيان بعد تنازل والده الشيخ محي الدين عن الإمارة له، وهذا في سهل غريس تحت شجرة الدردار، وقد بايعوه على السمع والطاعة وعلى بذل أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام، بالمقابل أدى الأمير القسم على القرآن بدفاعه عن الدين، وقد لقب في هذه البيعة بناصر الدين.

ب. البيعة الثانية 04 فيفري 1833م:

أصدر أمر بنشر خبر البيعة دعا فيه إلى البيعة الكبرى وتمت في 4 فيفري 1833م، واختار مدينة معسكر لإقامته ولعاصمة مقاومته، وهذه البيعة قد حظرتها القبائل المتاخمة لمعسكر للانضمام إلى المقاومة المسلحة.

4. مراحل مقاومة الأمير عبد القادر:

أ. مرحلة الانطلاق والقوة 1832-1837م:

1. الانطلاق:

شرح الأمير عبد القادر في هذه المرحلة بإعلان الجهاد ضد فرنسا، وفي نفس الوقت شكل حكومته في فيفري 1833م وعين القضاة ونصب الولاة في مختلف أنحاء الإمارة، كما عمل على توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد، بحيث تمكن بفضل هذا من إبقاء الفرنسيين على السواحل في كل من مستغانم وأرزيو ووهران.

عمد الأمير عبد القادر إلى فرض حصار اقتصادي صارم على هذه المدن الثلاث، في محاولة لإضعاف الوجود الفرنسي وعزل حامياته عن محيطها. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن هذا الحصار كان شديد الأثر على القوات الفرنسية، حتى أصبح جنودها في وضع صعب من حيث التموين، واضطروا إلى التوغل في المناطق الداخلية بحثاً عن المؤن، حتى شُبه حالمهم بالطيور الكاسرة التي تنتقل بحثاً عن طعامها.

2. معاهدة ديمشيل 26 فيفري 1834م:

تولى الجنرال الفرنسي ديمشيل حكم وهران في 23 أبريل 1833م، وبعد الحصار المفروض عليه من قبل الأمير عبد القادر، تمكن الجنرال من اقناع أحد سكان أرزيو بتقديم المعونة وكسر الحصار وقد اشترط هذا الشخص من فرنسا حمايته فأرسلت معه ضابط وأربع جنود وقعوا في الطريق في قبضة قوات الأمير ونقلوا إلى معسكر.

استغل ديمشيل هذه الواقعة وراسل الأمير عبد القادر أواخر شهر نوفمبر 1833م وكانت في الحقيقة هذه المراسلات بسبب الحصار الاقتصادي المفروض على الجيش الفرنسي في السواحل، ليضطر في الأخير إلى التوقيع على معاهدة سميت بمعاهدة ديمشيل وجاءت بنودها على الشكل التالي:

- وقف القتال بين الطرفين.
- اعتراف ديمشيل بإمارة الأمير على كامل البلاد في المقابل إقراره لفرنسا على مدن: الجزائر، وهران، أرزيو، مستغانم.
- تعيين وكلاء من الأمير عبد القادر بوهران ومستغانم وأرزيو بالمقابل يقيم وكيلا لفرنسا في رتبة ضابط.
- رد الأسرى والحربة الكاملة للتجارة.

خريطة لحدود دولة الأمير قبل معاهدة ديمشيل.



مكنك معاهدة ديمشيل الأمير عبد القادر من توسيع حدود إمارته حيث شملت كل الغرب الجزائري، باستثناء وهران، أرزيو، مستغانم، كما توغل في إقليم التيطري واستولى على مليانة وعلى المدية وتوسع شرقا فأخذ مدينة بسكرة؛ كما قام بتشييد الحصون وإقامة القلاع وبناء مصانع للأسلحة وإنتاج الذخيرة الحربية، وفي ذات الوقت عمل على تنظيم صفوف الشعب وتوحيد الجماهير حوله دفاعا عن الوطن وحماية للدين.

ومن أهم مزايا الهدنة الموقعة تمكن الأمير من تأسيس جيش نظامي مكون من الفرسان والمشاة وتجهيزه بكافة العتاد، ومن الناحية الإدارية تمكن الأمير من تثبيت حكم إمارته حيث قسمها إلى قسمين وضع على رأس كل إقليم خليفة، إقليم الشرق وعاصمته معسكر وإقليم الغرب وعاصمته تلمسان.

3. نقض معاهدة ديمشيل واستئناف القتال:

قامت الحكومة الفرنسية بعزل الجنرال ديمشيل عن قيادة وهران في 15 جانفي 1835م وتم استبداله بالجنرال تريزيل حتى قام هذا الأخير بنقض المعاهدة من خلال دعم بعض القبائل العربية التي كانت متمردة على الأمير عبد القادر وربطت مع فرنسا علاقات ودية وتجارية وأصبح سكان هذه القبائل رعايا فرنسيين، مع رفض تريزيل بيع الأسلحة للأمير رغم أن المعاهدة كانت تنص على بند التبادل التجاري بين الطرفين، واستأنف القتال مجددا وقد وقعت معارك عديدة لعل من أهمها معركة المقطع يوم 28 جوان 1835م جنوب أرزيو أين مني تريزيل بهزيمة ساحقة اهتزت لها فرنسا حيث عزل بعدها كل من حاكم الجزائر وحاكم وهران تريزيل وعين مكانهما كل كلوزيل كحاكم عام للبلاد والجنرال دارلانج حكام لوهران.

4. معاهدة تافنة 30 ماي 1837م:

لم تكن الأحداث التي تقع غرب الجزائر بمعزل عما يقع شرقا، فقد منيت القوات الفرنسية بهزيمة قاسية في قسنطينة على يد الحاج أحمد باي قائد المقاومة، وعلى هذا الأساس حاولت فرنسا توجيه حملة أخرى للسيطرة على قسنطينة وقمع المقاومة في الشرق، وعلى هذا الأساس عين الجنرال بيجو قائدا عاما في وهران يوم 23 ماي 1836م، في محاولة من فرنسا إلى توقيع معاهدة ثانية مع الأمير لانشغالها شرقا، وقد قبل الأمير الهدنة قصد التقاط الأنفاس وتوسيع نفوذه، وقد نصت المعاهدة على التالي:

- الأمير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينة الجزائر وسهل متيجة وعلى مدن وهران ومستغانم وأرزيو.

- على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيطري.
 - يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الأسلحة.
 - تتخلى فرنسا عن تلمسان وترجعها للأمير عبد القادر، مع حرية التجارة للطرفين.
- حدود دولة الأمير عبد القادر بعد معاهدة تافنة.



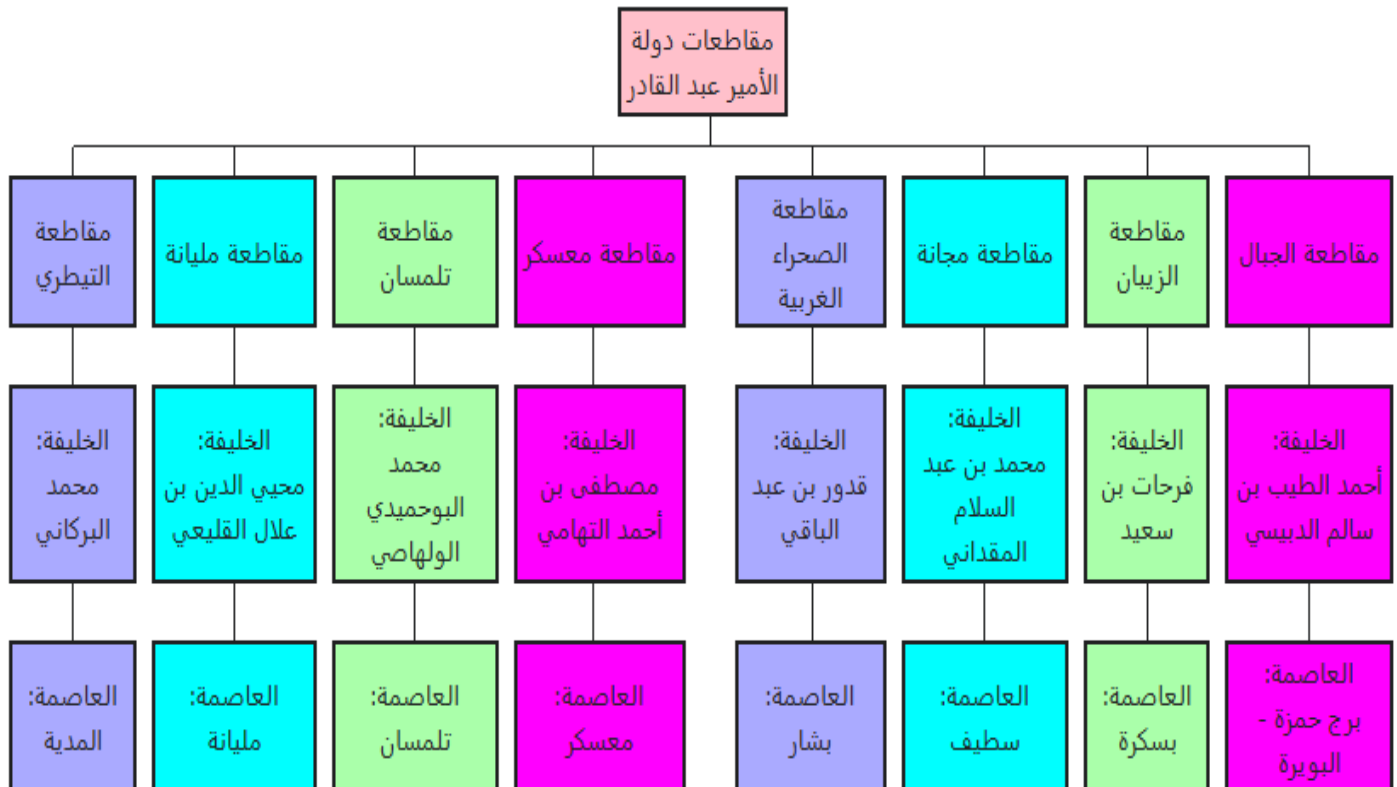
ب. مرحلة تنظيم الدولة 1837-1839:

1. مميزات هذه المرحلة:

- استغل الأمير عبد القادر فترة هدنة معاهدة التافنة لإعادة بناء هيكل الدولة وترميم ما خلفته المعارك من دمار في الحصون والقلاع، كما شرع في تنظيم شؤون البلاد على نحو يعزز من استقرارها وقوة الدولة. وفي هذا الإطار، قام بعدة إصلاحات إدارية وعسكرية شاملة، تمثلت في:
- تشكيل مجلس وزاري مصغر يضم رئيس الوزراء ونائب الرئيس ووزير الخارجية ووزير الخزانة الخاصة ووزير الأوقاف، وقد اتخذ هذا المجلس من مدينة معسكر عاصمة له، ليكون مركز القيادة السياسية والإدارية.

- التقسيم الإداري للبلاد إلى ثماني مقاطعات (ولايات)، كل ولاية يشرف عليها خليفة، وتنقسم إلى دوائر يقود كل منها ضابط برتبة آغا، بينما تضم الدائرة عدة قبائل يحكمها قائد محلي، ويكون إلى جانبه مسؤول إداري يحمل لقب شيخ، لضمان تنظيم الحكم المحلي وربطه بالإدارة المركزية، مع وضع ثلاث عواصم للدولة.
- تنظيم الميزانية على أساس مبدأ الزكاة وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد، وتعزيز التعليم من خلال دعم المدارس والمؤسسات التعليمية، بما يضمن استدامة الموارد المالية للدولة.
- تعزيز القوة العسكرية من خلال إقامة ورشات لصناعة الأسلحة والذخيرة وبناء الحصون على مشارف الصحراء، لرفع فاعلية الجيش وتأمين حدود الدولة.
- إرساء الرموز الوطنية من خلال تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة، لتعزيز الهوية الوطنية والرمزية السياسية.
- توطيد العلاقات الدبلوماسية مع بعض الدول، بما يعكس حرص الدولة على الاعتراف الدولي وتوسيع شبكة التحالفات والدعم الخارجي.

التقسيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر.



تصميم علم الأمير عبد القادر.



2. نقض معاهدة تافنة:

في نوفمبر 1937م تمكن الجنرال الفرنسي فالي من اسقاط عاصمة المقاومة في الشرق قسنطينة وبالتالي وجدت فرنسا الأمر مناسباً لخرق معاهدة تافنة واستئناف القتال مجدداً مع الأمير عبد القادر، وانطلاقاً من هذا بادر فالي المنتصر مؤخراً بعبور قواته عبر أراضي الأمير عبد القادر وهو ما يعد خرقاً لمعاهدة تافنة، ولكن هذه المرة جاء الخرق من أجل القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.

ت. مرحلة الضعف 1839-1847:

بدأ القتال مع الفرنسيين على جبهتين، الجبهة الشرقية بقيادة فالي والجبهة الغربية بقيادة الجنرال بيجو الذي رفع سياسة الأرض المحروقة: " لن تحرقوا الأرض، وإذا حرثتموها فلن تزرعوها، وإذا زرعتوها فلن تحصدها "، فحرق القرى وقتل النساء والشيوخ وتمكن من الدخول إلى عاصمة الأمير الأولى ألا وهي معسكر وأسقطها في ماي 1841م، ومن ثم عاصمته الثانية تاقدمت في سنة 1843م، وقد لجأ الأمير إلى استخدام عاصمة متنقلة أسماها بالزمالة ولكن تمكن الدوق أومال من اكتشاف الزمالة وتخريبها.

وعلى اثر ذلك لجأ الأمير عبد القادر إلى ملك المغرب والذي ناصره في بادئ الأمر ثم تخلى عنه، ما دفع بالأمير إلى مغادرة المغرب والدخول إلى الجزائر سنة 1845م لتنظيم مقاومة من جديد.

صورة تقريبية لعاصمة الأمير الزمالة.



حدود دولة الأمير عبد القادر سنة 1843م.



ث. مرحلة الاستسلام:

حاصرت القوات الفرنسية الأمير عبد القادر شرقا، بينما منع السلطان المغربي الأمير من الدخول وقام بمحاصرته غربا محذرا الأمير من الدخول وإلا تسليمه إلى الوات الفرنسية، ولم تتوقف المشاكل هنا إذ أن بعض القبائل التي تخوفت من سياسة الأرض المحروقة قد توقفت عن دعمها للأمير عبد القادر، كل هذا دفع بالأمير إلى الاستسلام في 23 سبتمبر 1847م والتوقيع على معاهدة لامورسيار، بعدما وضع شرطا ينص على ضرورة الأمان لجميع رفاقه وجنوده والسماح لهم بالالتحاق بعائلاتهم، أما هو فقد طلب السماح له بالهجرة إلى الإسكندرية، ولكن تم وضعه لسنوات في إقامة جبرية في فرنسا ومن ثم تم تهجيده إلى الشام.